به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

أ. د. علي رمضان الأوسي
المركز الإسلامي في انجلترا - لندن

ثقافة التقريب في الخطاب الديني المعاصر والعلاقة بالآخر

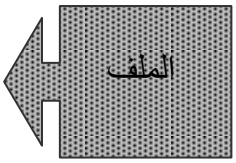

للموضوع أهمية:

١- ثقافة التقريب: لم يعد التقريب بين المذاهب الإسلامية حالة غريبة وليس بمقدور أحد ان يدفعها عن الواقع الحياتي للمسلمين، فالتقريب يمكنه ان ينتظم تحت عنوان: (علم التقريب) ولهذا العلم أسس وركائز وموضوعات وشخوص وآليات وسبل وغايات واهداف وما دام هكذا فلابد ان تترشح عن مجموع تلك المفردات الاساسية في هذا العلم ثقافة نعبر عنها بثقافة التقريب. وبسهولة

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

يمكننا ان نقول: هذا الخطيب أو تلك المؤسسة أو ذلك الكتاب ليس فيها ثقافة تقريبية أو العكس، لذا جاء التأشير ضرورياً على هذه المفردة في الخطاب الديني المعاصر.

٢- الخطاب الديني المعاصر: ونقصد به كل حديث مقروء أو مسموع أو مرئي فهو يشكل لوناً من ألوان الخطاب للآخر فالخطاب الديني ونقصد به الخطاب الاسلامي لا يتوقف على كتاب أو كلام فحسب وانما يتعداه ليشمل كل الوان الخطاب الذي يمارسه المسلمون بعلمائهم ومؤسساتهم ومؤلفيهم وهكذا المسلمون القادرون على ذلك الاداء، وغاية هذا الخطاب هو إيصال مضامينه وأفكاره الى الآخر.

ولا نريد الخوض في الخطاب الديني عبر تاريخ ومراحل مسيرة هذه الأمة المسلمة وانما نقصر الحديث على الخطاب الديني المعاصر من خلال استشرافنا للكتب والادبيات واحاديث العلماء والمنابر وخطاب الحركات الاسلامية وخطب الجمعة والجماعة والوعاظ والمبلغين ووسائل الاعلام المختلفة التي تحمل هذا اللون من الخطاب، الى جانب العلاقة المطلوبة بالآخر والمبنية على هذه

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

الثقافة ومبادئ التقريب.

أثر الاصل القرآني لقيم التقريب:

من قيم التقريب التي لا بدّ ان يلتزمها التقريبيون هي:

التعاون في ما تمّ الاتفاق عليه خلال هذه الجهود التقريبية التي بذلت هنا وهناك، والتقدير عند الاختلاف وتجنّب التكفير والتفسيق، وتجنب الاساءة لمقدسات الآخرين، وتشجيع الحوار وحرية اختيار المذهب وأمثال ذلك (بحث آية الله الشيخ محمد علي التسخيري: التقريب أسسه وقيمه ودور العلماء فيه).

وهناك قيم تقريبية كثيرة ومعطيات جمّة تنتج عن هذه القيم التي لا يمكن الابتعاد عنها في الكتابة أو الحديث أو الخطاب وحتى في السلوك الفردي للمسلم ناهيك عن النهج الجمعي للأمة والانظمة في البلاد الاسلامية.

إنّ مفاهيم الحوار والاخوة الايمانية وحسن الظن بالآخر وعدم تكفير المسلم وتجنب الاساءة للمقدسات والرموز وغيرها من العناوين نجد لها أصولاً قرآنية مباشرة وهي كثيرة منبثة في نصوص آيات القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦).

وآيات كثيرة صريحة وبشكل مباشر في التأكيد على هذه المبادئ تشكل بمجموعها مجموعة قيم التقريب. فالقرآن الكريم فتح الباب واسعاً أمام حركة التقريبيين وطلاب الوحدة وألقى باللوم على من يعيق هذه الحركة أو يغلق آفاق هذا العمل.

هذه المبادئ والقيم تضع ثقافة تقريبية وتؤسس لعلاقات متينة قائمة على أصول قرآنية، فلا مناص أمام من يريد ان يعرقل

هذه المسيرة أو يضع العصا في دولاب حركتها.

ومن هنا تكتسب ثقافة التقريب أهمية واضحة لا يمكن تجاوزها بحال ما دام القرآن يندب إليها ويحث عليها ويلوم من يخالفها. واذا ما كان القرآن الكريم هو المشترك الاكبر بين المسلمين بمختلف مذاهبهم فلا مناص من التمسك بمعطياته التقريبية والتوحيدية التي فيها عزة الاسلام والمسلمين وبخلاف ذلك تذهب قوتهم ويضعف شأنهم بين الأمم ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٧).

الوسطية وثقافة التقريب:

الوسطية هوية هذه الأمة ورسولها شاهد عليها، وجاءت الوسطية بجعل من الله سبحانه ليتعلق الأمر بأحكام الشريعة الاسلامية حيث لا تطرّف فيها ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٨). واذا ما أصيب أحد بالتطرف وعمي قلبه عن الوسطية وهكذا الأمة حين يسودها أحياناً عقل جمعي في فهم الأمور على نمط التطرف واقصاء الآخر فلا سبيل حينئذ

الى التقريب ويصعب تطبيقه وممارسته، ومن هنا لابد ان ننطلق من مفهوم الوسطية في الفكر والسلوك والتعامل مع الآخر، وهو اصل قرآني صريح بدليل الآية المباركة من سورة البقرة حيث جاءت الوسطية بجعل تشريعي من الله سبحانه، وحتى لو كان معناها الوسطية بين الرسول (ص) وبين الناس فإنها تقتضي التوازن وعدم الغلوّ والتفريط، وهكذا فإن الوسطية حين ينطلق منها المسلم أو يلتزم بها سلوكاً وفكراً ونظرة الى الآخر فإنها تدفعه الى النظرة الموضوعية واستحضار الغاية من الشهادة على الناس وتمنع صاحبها من الاندفاع لإلغاء الآخر، وهكذا تتحقق من خلال الوسطية معان للتعايش وتفهّم الآخر.

نحن المسلمين بأمس الحاجة اليوم لنعيش الوسطية عقيدة وفكراً وسلوكاً لنقضي على الاتجاه السلبي للذات، ونتحلى بدور الشهادة على الناس، والتي يترشح عنها الكثير من ثقافة تفهّم الآخرين وتفعيل مفاهيم هذه الثقافة التقريبية فالوسطية تقرّب ولا تنفّر وتجمع ولا تفرّق وتبني ولا تهدم.

فالوسطية بمعنى ان تتوسط شيئين فأنت تحافظ على توازن الطرفين وتوفر الانسجام

بينهما، كذلك الاعتدال بمعنى عدم التطرف و عدم الميل لطرف على حساب آخر و كذلك الشهادة على الناس فهي ان تكون مقياساً لغيرك ولا تتم هذه المعاني الثلاث إلا بالمزيد من التجلي في قيم التقريب والوحدة التي تجعل من التقريبيين انموذجاً يستطيع التعامل مع الآخر والتأثير عليه، فالتقريبيون يختزنون وسطية مؤثرة ويشعّون بثقافتهم التقريبية على مجتمعهم ومحيطهم فيحققوا بذلك فرصاً ملائمة للتعايش والانسجام والتسامح مع الآخر باحتمال آرائه وتحمّل مواقفه من غير تصادم و هذا أحد أبواب الحوار والفهم المتبادل والتقارب الروحي والنفسي وهو من أهم مقومات الثقافة التقريبية.

التقريب بين تحدياته وثقافته:

رغم المكاسب التي حققها مشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية سواء في نهضته التأسيسية الأولى في القرن الماضي أو في نهضته الجديدة بعد تأسيس الجمهورية الاسلامية الايرانية وتبنيها بقوة لهذا المشروع الا ان التحديات الداخلية والخارجية لا زالت قائمة ومؤثرة فبعض

التحديات انطلقت من الجهل وغياب العلم، والقسم الآخر بفعل أجندة خارجية يراد بها ان تتمزق الأمة وتتشرذم بدافع الهيمنة والتسلّط ونفوذ الاقوياء في مجتمعات المسلمين وقد أستعانوا بأدوات كثيرة لتنفيذ مآربهم الدنيئة ويمكن الاشارة الى جملة من الادوات والاساليب وجهودهم في التحدي وكلها تندرج تحت محورين أشرنا لهما وهما:

١- الجهل وغياب العلم.

٢- الأجندة والمخطط الخارجي لإضعاف الأمة والهيمنة عليها.

ومن أساليب وصور هذه التحديات:

١- تعاظم الهجمة الثقافية و الاعلامية الغربية ضد المجتمع الاسلامي.

٢- ضعف المنظمات والحركات الاسلامية.

٣- نفوذ الصهاينة في مراكز القرار العالمي.

٤- عدم توافق انظمة الدول الاسلامية.

٥- خلق عداوات وهمية في اوساط الامة الاسلامية.

٦- اصطفاف الغرب السياسي أمام التنمية

الاسلامية وحصر تكنولوجيا العلوم الحديثة به.

٧- نسيان القضية الفلسطينية واهمال المقاومة الشرعية للمحتلين.

٨- فرض العولمة الاميركية خارج دائرة الاعلام.

٩- احياء النعرات الطائفية.

١٠- الدعوة الى حروب صليبية معاصرة.

١١- استغلال القيم الانسانية و تحريف المفاهيم.

١٢- ضعف التخطيط و رسم الاستراتيجيات المؤثرة.

١٣- فتح المجال امام الفتاوى اللامسؤولة.

١٤- ايجاد الارضية المناسبة للتكفيريين و ظاهرة التكفير.

١٥- خطر العلمانية المعاصرة.

١٦- كثرة التمسك بحوادث التاريخ غير الدقيقة.

١٧- جعل التطرف و الجمود و المتطرفين الواجهة للعالم الاسلامي.

١٨- عدم تربية الكوادر الاسلامية المناسبة لمرحلة الحاضر.

١٩- ضعف الاعلام الاسلامي في تبيين اولويات الدين.

٢٠- تغييب دور المرأة المسلمة في اكثر الدول الاسلامية.

٢١- عدم تبيين المقاومة العادلة واستغلال الارهابيين.

٢٢- ضعف التواصل فيما بين الجاليات الاسلامية في الغرب و العالم الاسلامي.

٢٣- عدم احترام حقوق الانسان المسلم في البلاد الاسلامية .

(انظر بحث للدكتور محمد مهدي التسخيري بعنوان: (التحديات التي تواجه مشروع التقريب) ألقاه في المؤتمر الدولي الرابع للتقريب بين المذاهب الاسلامية في لندن).

فالتقريب كمشروع لابدّ ان يتأثر بهذه التحديات وغيرها فيتصدى التقريبيون لبعضها وقد يمرّر التحدي أغراضه الخبيثة أحياناً أخرى وبين هذا وذلك تُفرز ثقافة تقريبية تنطبع بألوان هذه التحديات، فالثقافة نتاج مواجهة التقريبيين لأخطار تلك التحديات في اغلب الأحيان. وتأسيساً على ذلك يبرز دور مؤثر للثقافة التقريبية حين تكون منطلقة من الاحساس العالي بالمسؤولية تجاه تلك

الاخطار، ومن جهة أخرى تنطبع هذه الثقافة التقريبية بصفات وخصائص المواجهة التقريبية ضد تلكم التحديات.

فظاهرة التكفير التي تقلق المجتمع وتسبب فقدان الأمن والاستقرار ومصادرة حق الآخرين في الوجود والانتماء من خلال فتاوى وتصريحات تكفيرية وادوات اعلامية واسعة ومؤثرة، كل ذلك يشكّل مساحة لا يستهان بها تزعزع الايمان بالعملية التقريبية وتقلل من نسبة الوثوق بها والاطمئنان اليها، فالتقريبيون ماذا عساهم ان يفعلوا لاحتواء الفتنة وعزل التكفيريين ومقت هذه الظاهرة التكفيرية التي تعارض أبسط قواعد التدين والعقيدة الاسلامية السمحاء وتتعارض مع النصوص الكثيرة للقرآن والسنة المشرّفة فهذه المواجهة تؤثر أثرها في إظهار ثقافة تقريبية لا تتسامح مع التكفير لمعارضته الثوابت والأصول الاعتقادية لدى هذه الأمة، وهنا لابد ان ينطلق التقريبيون في مواجهة التطرف والتكفير من الواقع فتنطبع ثقافتهم التقريبية بالواقعية الى جانب الجدية في مقت التكفير.

اذن هذه الثقافة وليدة مواجهة وهي مخاض

نشاط واضح لمشروع التقريب، ومن خلال ذلك تتعلم الأمة وسائل وادوات وآليات لهذه الثقافة التقريبية فتنظر بحسن واحترام لأصحابها وتعينهم على ذلك بينما تمقت على الجانب الآخر ثقافة التكفير والتطرف.

فلا مناص للثقافة التقريبية من التأثر بنتائج هذه المواجهات بين التقريب واللاتقريب كمشروعين متعارضين في الأمة، وعلى نفس المنوال يمكن تطبيق التحديات الأخرى وتداعيات هذه المواجهات على الحياة اليومية للمجتمع المسلم.

خطب الجمعة وحظّها من هذه الثقافة:

لعلّ منبر الجمعة لديه تأثيرات مختلفة في صناعة رأي عام في الأمة وفي صياغة مواقف مؤثرة وتوجيه مباشر، وتستقبل الأمة ما تتضمنه هذه الخطب باهتمام شرعي، إنّها ليست أحاديث فحسب إنّما لقاء جماهيري يدفع في قبول هذه الافكار التي تطرحها هذه الخطب في جوّ من القدسية تدفع بقدر من الإلزام بهذه الاحاديث والافكار والمواقف.

ولعلنا نقف أمام عدة أنواع واصناف من هذه الخطب تعود في طرحها واتجاه التفكير

فيها الى خلفيات الخطيب والبيئة والظروف المحيطة، فبعد ان كان الاتجاه التقليدي سائداً في خطب الجمعة الا ما ندر لكن في العقود الثلاثة الاخيرة حيث الوعي والصحوة التي أسستها وساعدت عليها الثورة الاسلامية في ايران واشعاعاتها تركت آثاراً نهضوية على طبيعة الخطاب الديني ولا سيما منبر الجمعة، لكن الذي حصل ان بروزاً جديداً فاجأ العالم الاسلامي انتهج التكفير وتفسيق الآخر واخذ يتمادى في خطابه المتشدد حتى بات الكثير من الشباب المؤمن ضحايا هذا الخطاب فبدلاً من السعي لتقوية اللحمة الدينية بين المسلمين واجهنا ثغرات كبيرة يدعمها هذا الخطاب المتشدد، وحصل دمار وقتل وتجاذب طائفي خدم المستكبر وأضعف المسلمين، وساهم في شتاتهم على صعيد المواقف والخطاب وحتى العلاقات.

لقد غابت ثقافة التقريب عن هذا المنبر، وهذا خروج على هوية خطاب الجمعة التوحيدي الذي يؤكد على وحدة المسلمين واظهار شوكتهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ [٩]. فذكر الله سبحانه يأبى الفرقة والتشرذم.

ان غياب هذه الثقافة على لسان هذا النوع من الخطباء سيفاقم الاوضاع اكثر اذا لم يؤخذ عليهم مواقفهم التحريضية غير المبنية على شريعة او قيم سماوية طابعها المسامحة وحب الانسان واحترام الآخر، وان مضى هؤلاء في غيّهم فسيعرّضون الانسانية لدمار عظيم ويعيقون حركة التطور الانساني العالمي.

ثقافة التقريب في مواجهة التكفير والارهاب والتطرف:

كما ان للتقريب ثقافة وقيماً ومبادئ يستند اليها او تترشح عنه فإن للتكفير والارهاب والتطرف كذلك ثقافة ومتبنيات وأساليب أخرى مغايرة تتناقض بمنطلقاتها وآثارها مع الثقافة الأخرى، فهناك صراع بين ثقافتين ثقافة الوعي والحرص على مكانة هذه الأمة وحماية الشريعة والمبادئ السمحة التي انطلقت بها وبين ثقافة التخلف والقهر والجهل وقد شاهدنا في أكثر من مشهد كيف تتواجه الثقافتان وتتصادمان بل كيف يتصارعان (فماذا بعد الحق إلا الضلال)، فلا ضلال ولا تيه أكثر من سحق المعايير الاخلاقية

والعقلية الخادمة في طريق بناء الأمة.

وما هذا الاختلاف في واقعنا الاجتماعي المسلم إلا صورة من صور الصراع بين ثقافتين.

من يتحمل المسؤولية؟

إذا كان الأمر كذلك فإن المسؤولية لا تسقط عن فرد من الافراد لسعة مساحة هذا الصراع وشدة وطأته وتعقيد أساليبه وخشونة آثاره (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) الى جانب ذلك فإن المسؤولية تعظم أكثر وتشتد على العلماء والخطباء وكذلك القيادات السياسية والاجتماعية، بل وحتى المؤسسات الثقافية والعلمية والجامعات والمنبر وغيرها فكلها في مواجهة هذه المسؤولية ولا يعذر احد في التخلي عنها.

ان اي اخلال في طبيعة هذه المواجهة لصالح ثقافة التكفير والارهاب والتطرف يعني ان الأمة بطموحها وتراثها وامكاناتها في خطر حقيقي، وهذا ما يسعى اليه الاستكبار العالمي ليشغلنا عن أولويات مسؤولياتنا في الحياة، وهو يدرك حقاً ان الخطاب الديني الواعي مؤثر جداً في ادارة الأزمة لصالح

ثقافة الوحدة والتقريب، لذا يحتل هذا الخطاب اهمية قصوى لدى أهله ومريديه لتنميته وتطويره، وكذلك الطرف الآخر حيث يتربص به ويعيق من تأثيره وقوته.

العلاقة مع الآخر:

دعا القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى بناء جسور المودة والإخاء مع الانسان بغض النظر عن دينه وعقيدته.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٠).

فالغاية السامية هو ان يتقارب بنو البشر الى بعضهم بمعنى التعارف ويقتضي ذلك مراتب مهمة من التعاون ومساعدة الآخر، لتكون التقوى أساس الكرامة عند الله سبحانه، وان تعددت أساليب القرب إليه سبحانه فإن التقوى تذيب الفوارق المصطنعة بعد تهذيب النفس وتطويعها وتعبيدها لله سبحانه.

وقد روي عن النبي الاكرم محمد (ص) قوله: (رأس العقل بعد الدين التودّد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل أحد برّ أو فاجر) (١١).

وحين دعا شخص بحضور الامام علي بن الحسين السجاد (ع): (اللهم أغنني عن خلقك)، ردّ عليه الامام فقال: ليس هكذا، الناس بالناس ولكن قل: (اللهم أغنني عن شرار خلقك).

(فصلاح شأن الناس التعايش) وهو كلام الامام محمد الباقر (ع). وهكذا لو توسعنا في هذه النصوص المباركة لوقفنا على أصل ثابت وواضح من هذه المسألة ولا يمكن تجاوز مبدأ التعايش والتعارف بين الناس كل الناس. أما أسس التفاضل في المجتمع فلها توجيه آخر لا تتعارض والاتجاه الاساس في بناء هذا التعايش.

حواريّة قرآنية:

آيات القرآن الكريم تهتف بالحوار مع الآخر، وتتمسك بالدليل والحجة، وتكررت مفردة يسألونك، واشتقاقات مفردة (القول) هي الأخرى تكررت ١٧٢٢ مرة، والقائلون هم في غاية التنوع حتى خصوم القرآن الكريم كما ذكرهم القرآن الكريم كالمنافقين وغيرهم نسبت لهم بعض هذه الأقوال، بل ذكر القرآن الكريم بعض مفاهيم وعقائد الآخرين كمن قال: ﴿يد الله مغلولة﴾[١٢]، او ﴿ان الله ثالث ثلاثة﴾[١٣]،

أو قولهم: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[١٤]، أو ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[١٥]. وأمثال تلك الشواهد كثيرة.

حتى بلغ الحوار في هذا السياق واضحاً جداً في قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾[١٦]، يقول الشيخ الطبرسي: انما قال ذلك على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب وإنْ كان هو عالماً بالكاذب.

وعلى هذا يقول ابو الأسود الدؤلي في مدحه أهل البيت (عليهم السلام):

بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليّا

فإنْ يكُ حبهم رشداً أُصبْهُ ولستُ بمخطئ إن كان غيّا

فلم يقل ذلك لكونه شاكاً في محبتهم وقد أيقن ان محبتهم رشد وهدى وقد جمع بين الخبرين وفوّض التمييز الى العقول.

وهكذا فالآية المباركة بعد ان احتجت بجهة الرزق ومعرفة الرازق وحيث يقتضي ذلك الشكر والعرفان له، إتجهت الى بيان ان كل قول إما هدى وإما ضلال لا ثالث لهما نفياً

وإثباتاً. ونحن وأنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان فإمّا أنْ نكون على هدىً وأنتم في ضلال وإمّا أنْ تكونوا على هدى ونحن في ضلال. فانظروا بعين الانصاف الى ما أُلقي إليكم من الحجة وميّزوا المهديّ من الضال والمحق من المبطل.

وهكذا الآية اللاحقة قوله تعالى: ﴿قل لا تُسألون عمّا أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾ مورد آخر للتمهيد للحوار مع الخصوم المخالفين فأنتم لا تُسألون عن ما نقوم به ولا نحن أيضاً، مع فارق الفعلين (أجرمنا، تعملون) فإنّه يصب في قناة المتحاورين أكثر بلحاظ حسن الأدب في المناظرة، تخفيفاً على نفوسهم، رغم علمه (ص) واطمئنانه بأنّه على هدى. هكذا يمضي الأمر ليستقر عند نقطة الجمع والفتح: (قل يجمع بيننا ربنا) طبعاً في الآخرة وتكون المواجهة صريحة بحقائقها من غير ستر ﴿ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ فهو سبحانه الذي يميز بيننا بفتحه الجهتين فيتميز بذلك الشيء من الشيء، والفتح ايجاد الفصل بين شيئين لفائدة تترتب عليه كفتح الباب لأجل الدخول، والفتح بين الشيئين ليتميز كل منهما عن الآخر بذاته وصفاته وأفعاله[١٧].

منطق نبوي:

وقصة عتبة بن ربيعة شاخص آخر في هذا الطريق حين جاء الى رسول الله (ص) من قبل المشركين ليذوده عن تبليغ الرسالة وقال: يا محمد اني وافد قريش إليك ان كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وان كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وان كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله (ص) يستمع قال (ص): أو قد فرغت يا ابا الوليد؟ قال نعم، فقرأ رسول الله (ص) عليه قرآناً: الآيات الخمس الأولى من سورة فصلت فكان رسول الله(ص) يتمتع بحسن الاستماع حتى يفرغ الآخر من كلامه ولم يقاطعه، ولو كان المتحدث غير مسلم، فحسن الأدب يؤثر على الخصم إذا ما أراد العناد أو التطاول بالكلام وهكذا حسن الاستماع يؤثر أثره البالغ في المتحدث حيث يسهم هذا الادب الرائع في درء المفسدة وجلب المصلحة، نعم حين بدأ عتبة في حديثه الى النبي محمد(ص) بتعييب وغلظة ردّ عليه رسول الله (ص) بقرآن قرأه عليه[١٨].

وعندما مرت جنازة بين يديه (ص) فقيل

انها جنازة يهودي فقال (ص) لصحابته: (أليست نفساً).

وكان النبي محمد (ص) يقول: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى).

وما رسائله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الى الملوك والامراء والحكام خارج الجزيرة العربية وما أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة والى هرقل قيصر الروم والى كسرى ملك الفرس إلا كاشفاً ومؤشراً على انفتاح الرسالة الاسلامية على الآخرين فهو رحمة مهداة من رب العالمين الى الناس كافة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١٩).

فاذا كان الامر هكذا مع الانسان بشكل عام فكيف اذن العلاقة بين المسلم واخيه المسلم الذي صان الله دمه وعرضه وماله بالاسلام وبنى علاقته مع اخيه على الاخوّة الايمانية قوله تعالى: ﴿انما المؤمنون اخوة﴾.

اهداف مباركة وغايات محمودة:

١- يهتف القرآن الكريم بتمحيض العبودية لله سبحانه فعلّة خلق الانسان كل انسان ان يكون عبداً لله متحرراً من عبودية الانسان الآخر: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾

[٢٠]، هكذا تمضي مسيرة هذا الانسان نحو الله كدحاً ليلاقي ربه ليكون عنوان التقوى هو الفضيلة بين الناس قال تعالى: ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [٢١].

٢- لم يهدف الاسلام من هذا الخطاب الانساني إلا تحقيق المزيد من النهج الفطري السليم، واعادة الانسان الى رحاب التوحيد الالهي والعبودية الخالصة له سبحانه، لم يهدف لتكريس هيمنة أو مصادرة رأي ولا سحق إرادة، المهم ان يبقى الانسان عزيزاً بكرامته وقوياً حرّاً في وجوده. ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [٢٢].

٣- ينطلق الاسلام من البداية الأولى للخلق حيث يعود البشر كلهم إلى أصل واحد وهو التراب كما قال رسول الله (ص) (كلكم لآدم وآدم من تراب).

ويؤسس أمير المؤمنين علي (ع) على هذا الأمر قوله الشهير في وصيته إلى واليه على مصر مالك الاشتر (رض) ضمن الوثيقة التي اعتبرت في المحافل الدولية لما فيها من الاحترام الشديد لحقوق الانسان حيث قال: (الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

٤- ان المنظومة الاخلاقية السامية طرحها القرآن الكريم والنبي الاكرم (ص) من أجل ان يعزز فرص التعايش واحترام الآخر حتى كان رسول الله (ص) في كرم صفحه وجمال عفوه وسماحته مثالاً قرآنياً مباركاً قال تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[٢٣]. وقال رسول الله (ص): (أدّبني ربي فأحسن تأديبي).

فالاخلاق الطيبة تذيب جبال الاوهام وتنسف حواجز الانانية بين الناس، أملاً بتهيئة النفوس لاستقبال النداء الالهي، وانتفاع الانسان برأي ونظرات أخيه الانسان مهما خالفه في العقيدة.

٥- الحوار الهادئ المبني على قيم التسامح والاخوّة يفتح الباب واسعاً أمام فرص التبليغ التوحيدي، فقد تموت أحسن الافكار على لسان الحمقى وتحيا أقوال بسيطة على ألسنة الصالحين وقلوب المخبتين وتنعم هذه الانسانية بهذه التركة القيمية العالية التي ازدانت بظرافة أسلوب الصالحين وجمال قلوب المخبتين، بينما الحمقى من الناس هم من يشوّه العقائد ويقطع السبل ويبرّر للآخرين شتمنا وحتى قتلنا.

كيف نتعايش مع الآخر ونحن متفرقون:

هل هناك علاقة بين وحدة الصف وقوة تماسك الأمة وثقافة التقريب وبين التعايش والحوار مع الآخر؟

من نافلة القول الحديث عن وحدة الأمة أو وحدة مواقفها، فالأمة التي تمزقها أحَن ومشاكل فيما بينها هي غير قادرة على التحرك إلى الامام وبناء مستقبلها لأنها ستنشغل بهذه الهموم والمشاكل التي هي في غنى عنها، وغالباً ما يؤجج مثل هذه الخلافات هو جهل الأمة بدورها في الحياة.

أما الأمم القوية فهي القادرة على التفاعل والتعايش وتجنب هذه الخلافات وذلك لوضوح الاهداف والغايات الكبرى في وجودها بين الناس، بينما من يشغل نفسه في خلافات أفقية الاتجاه تكثر أمامه العثرات وتغلب عليه التحديات الكبرى التي لم يعطها الوقت الكافي ولا المعالجة القادرة على حلّها.

ففي قوله سبحانه: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين﴾[٢٤]. فالتنازع يتسبب في فشل الأمم والجماعات ويذهب بقوتها وتستحيل تجمعات

كسيحة غير قادرة على الفعل ولا على التفاعل مع الآخر، ناهيك عن مشاكلها الداخلية التي تعصف بها وتضعفها عن البناء والمواجهة.

بناء على ذلك لابد ان ننطلق من مناخات منسجمة تدفعنا أحاسيس صادقة للعمل في بناء الانسان والمجتمع معاً، واذا ما أحسسنا بحالة الضعف هذه الناتجة عن الفرقة والاختلاف وَجَبَ علينا القيام بمراجعة شاملة وعملية نقد كبرى وتشخيص نقاط التصادم وفرز الاوهام عن الحقائق وننظر الى الاشياء بتفاؤل وحيادية متنكّبين سياسة الاحكام المسبقة على الآخرين.

التقريب طريق للحوار:

التقريب أحد المراتب الضرورية في تحقيق التعايش الانساني فإذا ما اختص هذا المصطلح في التقارب بين المذاهب الاسلامية بتجذيب نفسها الاحتكاكات والاختناق الطائفي فان هذه النتيجة تدخل في حساب دفع الأمة صوب البناء والتفاعل مع الآخر. فقد أنهكت مجتمعات بفعل الاحتقانات الطائفية المقيتة وليس الأمر متعلقاً بالمسلمين فحسب بل يتسع لكل الطوائف غير المسلمة أيضاً.

استطاعت الجهود التقريبية لدى الواعين من هذه الأمة ان تؤسس لعلاقات نوعية ومؤثرة وتبعد شبح الاختلافات بين المذاهب الاسلامية ففي بلدان اسلامية لم تأخذ بهذا النهج التقريبي نجد ان الفتنة والاقتتال والتكفير والتشهير والتسقيط قد دمرَ أسساً في هذه المجتمعات بينما وقف التقريب بما أنتجه من قيادات وثقافة وقيم تقريبية حائلاً دون تفاقم مشاكل مثل تلك المجتمعات، وحقّق للتقريبيين فرصاً عظيمة للحوار من خلال جلسات التفاهم والانطلاق بمشاريع مشتركة وكذلك اتخاذ المواقف الواحدة ازاء القضايا الكبرى لهذه الامة، كقضية الاقصى ومواجهة محاولات الاساءة للرموز الدينية وغيرها.

التحرر من النمطين الخرافي والمتطرف:

ابتلي المجتمع الاسلامي بأنماط كثيرة من التفكير المتخلف وأصبح هذا التفكير يفرض قيمه وتوجهاته على هذا المجتمع فنتج عن ذلك صراعات واسعة منشؤها الخرافة أو التطرف وإذا ما اجتمع النمطان أحياناً فإنّه يولد مركباً آخر خطيراً يتّشح بقدسية زائفة وعقائد ملحقة وغير مطلوبة.

ولا يبعد ان يكون للعامل الخارجي أثره الكبير في إيجاد هذين النمطين على صعيد التفكير والممارسة والتجمعات، فالمجتمع الذي عاد مثقلاً بهذه الظواهر الغريبة تشل إرادته وتمنعه من التقدم والتفكير بالتعايش مع الآخر لما تنتجه هذه الانماط من فوضى فكرية وسياسية واجتماعية واخلاقية وغيرها، فتهدّ فيه العصب المجتمعي وتعرّض مصالح هذه الامة للخطر. كيف يمكن لهذه الأمة المبتلاة بهذه النمطية ان تفكّر وتمنحنا عطاءها في بناء العلاقة المؤثرة مع الآخر، فلا الفرد فيها قادر على ذلك ولا هي ايضاً. فالدعوة الى المراجعة الصادقة والمبدئية لتشذيب ما تعلق من خرافات وتطرف تجعلنا قادرين على ايجاد مناخ معتدل وفكر سليم وقدرة على المواجهة. وإلا فالأمة ستعاني الكثير من الفتن والانحرافات وتكفير البعض للبعض الآخر من غير ميزان شرعي ولا ضابطة اخلاقية، ولا يُلتفت الى قدسية علاقة المؤمن بالمؤمن، قال تعالى: ﴿انما المؤمنون إخوة﴾[٢٥]. فالأمة مدعوّة لبناء ذاتها بالتحرر من نقاط الضعف هذه والتهديدات التي تأكلها من داخلها، كذلك الانسانية

اليوم تعذبها مثل هذه الانحرافات ولابد ان ننطلق لبلسمة جراحها بعد ان نتحرر من هذه الحياة النمطية المتخاذلة باتجاه حياة متفاعلة مع الآخرين.

النظرة المستقبلية المتبادلة:

في ظل عالم الاتصالات المتطور والفاعل انتهت عصور القرى والبلدان النائية وأصبحت الانسانية منفتحة على بعضها لها ان تأخذ وتعطي معارف وعلوماً أو تجارب وعطاءات:

١- هناك حضارات سادت دهوراً وتركت إرثاً كبيراً بمدنيتها وتجاربها وخبراتها ولغاتها ومعارفها وعقائدها وأديانها وغير ذلك.

وقد توزعت تلك الحضارات على مناطق شتى في هذا العالم واستمتعت الانسانية بانجازاتها واكتوت بظلمها أيضاً، فالموروث الحضاري الانساني تلفيق من سعادة وشقاء ومن عدل وظلم ومن غنى وفقر ومن هيمنة واستضعاف وهكذا. لكنها تجارب انسانية لا يمكن التغافل عنها ولا مناص من مواجهتها والأخذ مما يفيد منها والاعراض عن الوجه المؤلم من تلكم التجارب.

وبناء على ذلك فالآخر هو المشترك الانساني

بغض النظر عن استكبار طرف فيه أحياناً لكن الاحساس والايمان بأهمية الحوار يمهّد لقبول هادئ للطرف الآخر وتفاهم أفضل لكون الآخر هو الانسان بتجاربه وحضاراته وموروثه وليس الآخر كله مستكبراً.

٢- هناك وجوه مشرقة في تلك التجارب كالمعارف والعلوم واللغات والتجارب التي حققت كسباً للانسان وفوزاً على مشاكل الحياة فهذه مشتركات ودواع مؤثرة في دفعنا نحو الآخر لمبادلته ما لدينا من معارف وعلوم ولغات وتجارب أيضاً وتناول ما لديه مما يخدم الانسان ولا يتعارض وثوابت المنهج الاسلامي الناصع.

كما ان لدى الآخر مجالات انسانية رائعة، فنحن المسلمين لدينا الكثير من ذلك، فقد أشار المستشرق (بلبدن) الى ان الاسلام لم يفرّق بين البشر، ولم يعامل الفرد الاسود قط على انه من طبقة منحطة. وقد ذكر القمص فيلوثاوس فرج ثلاثة عشر دليلاً على احترام الاسلام للمسيحية والمسيحيين في كتابه: (الود والاحترام بين المسيحية والاسلام)، وذكر في مقدمة كتابه: (نظر الاسلام إلى المسيحية نظرة ودّ واحترام ومحطات التآخي

متعددة ونقاط التلاقي كثيرة) ومن الروائع في هذا المجال الوثيقة التي أصدرها المجمع الكنسي في الفاتيكان سنة ١٩٧٠م بعنوان: (اتجاهات نحو الشرق من أجل حوار بين المسلمين والنصارى) فكل ذلك وغيره يمهّد ويدعو الى حوار مباشر ومؤثر لا سيما في مجال العلوم والمعارف والمدنية.

٣- هذا التصور من شأنه ان يفكك بين المساحات المضيئة في تجارب الشعوب ومعارفها وبين غيرها من المساحات التي تتعاظم فيها نظريات المؤامرة ومحاولات الهيمنة والتسلط فهذه المساحات بطبيعتها غير مؤهلة للدخول ويبقى على الاطراف والافراد والمجتمعات أنْ ينظّروا لأجل تجاوز أخطار هذه المساحات من خلال النشاط السياسي والمعرفي لدى هذه الاطراف لا سيما من يتمتع بالحكمة وتعقل الأمور آخذاً بها الى التهدئة بإخراجها من موارد الاحتكاك السياسي والمصلحي النفعي.

٤- الانسانية اليوم تواجه تحديات بيئية وكونية واحياناً بشرية ناقمة على سعادة هذا الانسان من قبيل الارهاب والتسلح النووي المجنون ولغة الهيمنة والتسلط، أليست هذه

بواعث مباشرة لتنسيق الجهود الانسانية جمعاء للحيلولة دون الاضرار بحياة الانسان مهما كان لونه او جنسه او انتماؤه فالنظرة المستقبلية لحياة هذا الانسان والكوكب تدفع باتجاه التعاون والتنسيق لمواجهة هذه التحديات. ذلك طبعاً من الفرص المشتركة لتطوير علاقتنا بالآخر.

٥- لابد ان ننأى بأنفسنا عن الحوار المنقوص حين تستهوي بعض الاطراف اطماعهم في الهيمنة. وخشية الآخر وضعفه من تلك الهيمنة فيستبدل الحوار المنطقي بحوار تابع وذليل ترفضه كرامة الانسان وعزته والتي انتصر إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [٢٦]، واذا ما ضعفنا في جانب فالآخر له نقاط ضعف أيضاً، فلنحاور بعيداً عن أية عقدة نقص او تبعية لتأتي النتائج أكثر نفعاً لكل الاطراف وتعود على الانسانية بالسعادة والاستقرار.

٦- البعد الديني والبعد الاخلاقي يشكّلان ضابطة مؤثرة في الدفع باتجاه الحوار الذي يصدق فيه الانسان مع ربّه والآخرين، فهناك فرص عظيمة لدينا للتحرك في هذا السبيل وحينها لا نخشى أمراً ما دامت قيمنا الاخلاقية

وعقائدنا سليمة تفعل فعلها وتؤثر في توجيه مسيرتنا الانسانية، وسوف نجني الكثير من الفوائد في علاقتنا مع الآخر ما دمنا صادقين مع الله ومع الآخر ومع أنفسنا.

٧- بعد كل هذا هل هناك موانع حقيقية من الحوار والتعايش؟

هل هناك ما يمنع من الاتصال المعرفي؟

هل هناك أمر أفضل من تحقيق المبدأ الإلهي في الوجود بإشاعة السلام والحب والوئام وتوثيق عرى التعاون البناء بين الانسان وأخيه الانسان؟ قال تعالى: ﴿والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ (٢٧).

نعم لا وجود لكل تلك المحاذير بعد ان بنى الانسان بوهمه على مدى تاريخ بعيد أنانيات لم تفرضها شريعة ولا فطرة، بل العكس من ذلك يقول سبحانه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (٢٨)، نعم الناس كلهم وليس جماعة بعينها حيث ان الله سبحانه خلق الناس كلهم على تلك الفطرة التي يمكن للجميع الالتقاء عليها وعلى أمثالها من كلمة السواء وجمال التوحيد ومناخ التعاون وسيادة العدل

وتحقيق السعادة لكل الانسانية. حينها لا وجود للأثرة والأنا والظلم والشقاء.

اللهم وفقنا للعمل الصالح اللهم آمين.

الهوامش:

١- الحجرات/ ١٠ .
٢- آل عمران/ ١٠٣ .
٣- الانبياء/ ٩٢ .
٤- سبأ/ ٢٤ .
٥- البقرة/ ١٤٣ .
٦- الحجرات/ ١٢ .
٧- الانفال/ ٤٦ .
٨- البقرة/ ١٤٣ .
٩- الجمعة/ ٩ .
١٠- الحجرات/ ١٣ .
١١- رواه البيهقي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "ع" .
١٢- المائدة/ ٦٤ .
١٣- المائدة/ ٧٣ .
١٤- يس/ ٤٧ .
١٥- الجاثية/ ٢٤ .
١٦- سبأ/ ٢٤ .
١٧- تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي .
١٨- سيرة ابن هشام ٢٩٣/١، البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٣-٨٢ .
١٩- الانبياء/ ١٠٧ .
٢٠- الذاريات/ ٥٦ .
٢١- الحجرات/ ١٣ .

٢٢- المنافقون/ ٨ .
٢٣- آل عمران/ ١٥٩ .
٢٤- الانفال/ ٤٦ .
٢٥- الحجرات/ ١٠ .
٢٦- المنافقون/ ٨ .
٢٧- يونس/ ٢٥ .
٢٨- الروم/ ٣٠ .